شعر الحج

ضياء الدين الصابوني

قــدْ طــابَ حَــجُّكَ إنّــهُ مــبرورٌ ... وَسَــــقَيتَ سَــقيَكَ إنَّــهُ مشكــور
فــاهنأ بــحَجّكَ والقَـبولِ مـع الرضـا ... فــلأنتَ فــي عَـفوِ المـليكِ جـدير
تـلكَ المـعاني السـامياتُ شـهِدْتَها ... قَــــدْ زانَــــها التــهليلُ والتكــبير
ذقتَ الحلاوةَ في الرحابِ ومَنْ يذُق ... يَــعرفْ، وضـلَّ الجـاحدُ المـغرور
وشهدتَ من سرِّ الجـمال وحسـنه ... صــوَراً تَــردُّ الطـرْفَ وهـو حسـير
ووقفتَ في (عرفات) تلتمس الندىٰ ... وأفــضتَ مــنها ذنــبكَ المــغفور
وأتيتَ (للـحجرات) تـهجر كـلّ مـا ... يُــرديكَ أو يُــغويكَ وهــو كـفور
أمّــن يــرى البــيتَ العـتيقَ وسِـرَّه ... والقــــلبُ مــنه طــافحٌ مــغمور؟
ولقــد كُسـيتَ مـن الجـلالة ثـوبَها ... ومَــعَ الجــلالِ بَشــاشةٌ وحــبور
هـا هـم ضـيوفكَ أقـبلوا فـي لهـفةٍ ... وقــلوبُهم فــيها الهُــدىٰ والنــور
يــــدعون ربَّــهم بــقلبٍ خــاشعٍ ... واللهُ يُــــجزلُ والجــــزاءُ كــــبير

وعـلىٰ الجـباهِ الخـاشعات عـلائمٌ ... وعـلى الوجـوهِ النـيّرات سـرور
نـالوا الجـوائـزَ بـعدما غُـفرتْ لهـمُ ... زلّاتُـهمْ، إنَّ اللـطيف خـبير
وكـم اعـتراك هـزّةٌ بـرحـابه ... بـلْ كـادَ قـلبُكَ مـن هـواهُ يـطير
طـوبىٰ لمـن قـد فـازَ مـنه بـنفحةٍ ... فـالعيشُ رَغْـدٌ والزمـان عـبير
مـهما أتـيتَ مـن الذنـوب فـإنّما ... أمـلي بـعفوكَ يـا كـريمُ كـبير
ربّـاه يـا رحـمن فـاجبر كسـرَنا ... إنَّ الفـؤادَ مـن الذنـوبِ كسـير
ربّـاه فـاقبل تـوبتي وضـراعـتي ... أيـقنتُ أنّكَ راحـمٌ وغـفور
جـدْ لي بـعفوكَ يـا إلهـي تكـرماً ... فـالكسرُ عـندَ مَـليكنا مـجبور
جـدْ لي بـعفوكَ أنتَ أكـرمُ مـرتجىٰ ... وإليـه كـلُّ الكـائناتِ تـصير
صـلّى الإله عـلى النـبيّ وآلِـه ... مـا رفَّ قـلبُ العـبدِ وهـو شكـور

شاعر طيبة: محمّد ضياءالدين الصابوني ـ عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

يا مُحرمونَ .. شعار الصالحين عـلى ... وجـوههم.. للـهدى والخـير مَـنْزِعُهُ
كأنّـه مـن جـنان الخُـلد مُـقْتَبَسٌ ... وفـي الجـباه يَـدُ الرحـمن تَـطْبَعُهُ
يا مُحرمونَ، كـيوم البـعثِ مَـنْشَرُهُم ... شَـمْلُ البـريّةِ هـذا اليـومُ يَـجمَعُهُ
مِـن كـلّ جـنسٍ ولونٍ أقـبلوا زُمَـراً ... حـيثُ التـفاضلُ للإيـمانِ مَـرْجِعُهُ
تَجرّدوا من هـوى الدنـيا وزُخـرُفِها ... وكـلّهم فـي رِضـاءِ الله مَـطمَعُهُ
مُسـالمين فـلا بَـغيٌ ولا حَـرَبٌ ... ولا يُـراودُ جَـفْناً مـا يُـروّعُهُ
ترىٰ الخيامَ علىٰ ظهرِ الربىٰ نُـصِبَت ... كـالبحر.. مـنشورةً للـريح أشـرُعُهُ
هـذي وفـودك يـا رحـمنُ قـائمة ... يَـضُمُّها مـن جـميل العـفو أوسَـعُهُ
في مَهبَطِ الوحي كم تنسابُ ذاكـرةٌ ... تـثير فـي القـلب أشـجاناً تُـلوِّعُهُ

كم في المنازل من طيف ومن أثر ... يكاد ينطق بالأخبار موضعه
عفّت عليه الليالي وهو ملتحف ... بالصمت.. يسترجع الأحداث بَلْقَعُهُ
وفْدَ الحجيج سلامٌ عاطرٌ عبقٌ ... رَبُّ البريّة بالغفرانِ يَشفَعُهُ
وفدَ الحجيج.. ألا فتذكّروا أبداً ... مَجْداً لنا غابراً لابدّ نُرْجِعُهُ
لا تتركو القبلة الأولىٰ.. ومسجدها ... يشكو.. وكم طال في البلوىٰ تفَجُّعُهُ
من هاهنا من ظلالِ البيتِ طاهرةً ... أذيالُنا.. مبدأ التحرير نُزْمِعُهُ
لا، لن نعودَ وفي أرواحنا وَهَنٌ ... ولن يَضُمَّ خلي البال مَضْجَعُهُ[1]

* * *

يا موطئاً من عهدِ إبراهيم لا ... يُمحىٰ.. ولا تَعفو عليه رياحُ
بيديه شادَ أجلَّ بيتٍ يُبتَنىٰ ... لله يُغْدىٰ نحوَه ويُراحُ
تهوي النّفوسُ إليه.. فهي بساحِهِ ... لا إثمَ يُرهِقُها ولا أتراحُ
وهناك «إسماعيل» قامَ مُلبّياً ... وكلاهما بدعائه مِلحاحُ
قمرانِ من وحي الإله سناهُما ... خُلُقٌ أبرُّ. وعِفّةٌ وسماحُ
ربّاه.. هذا البيتُ بيتُك خالِصاً ... ومعالِمُ التوحيد فيه صراحُ
أرِنا مناسِكنا على النهج الذي ... يُرضيكَ عنّا.. ليس عنه بَراحُ

من ارجوزة في الحج للسيد جمال الدين الهاشمي رحمه الله

سارت علىٰ اسم الخالق المعبود ... قافلة الإيمان والتوحيد
سارت تحجّ الكعبة الغرّاء ... بحبّ آل أحمد تلوب

حتّىٰ قصدنا مكّة المكرّمة ... في موكب شاراته محتشمة
وحينما لاحت حدود الحرم ... واستيقظت منها قلوب النوم

فـــبادر الركب إليـــه مســـرعاً ... وكلّ فرد فيه مـن شـوق دعـا:
«لبّيك إنّ الحـمد والنـعمة لك ... لبّيك إنّ المجد والرحـمة لك»
نـــخلع عـــن أجســـامنا الثـيابا ... إذ لم تـــزل لوعـــينا حـــجابا
هـــي القشـور أضـحت اللـبابا ... هـيا أمِـطْ عـن وعـيك النـقابا
لتـــــظهر الحـــــقيقة الخـفيّة ... وتـــــلمس المـــاهيّة النـــوريّة
تـــــبعدنا مـــــظاهر الحـــياة ... في زيفها عن الجـمال الذاتـي
مـــا أنـــا فـــي الحـياة إلّا بشـر ... لكـــلّ مـــا أحـــبىٰ بـــه مـفتقر
عبد فلا أمـلك رجـلي ويـدي ... بل كلّ ما عندي مـلك سـيّدي
فكـــلّ آثـــاري إليـــه تـــنسب ... في بـعثها عـنّي هـو المسـبّب
مـــــا كـــــنت إلّا عـــدماً لولاه ... أوجـــــــــدني بـــــأمره الإله
شـغلني عـن وعـيها التشـاغل ... بـــــعالم لذاتـــــه حـــــبائل
تصدّني في وصفها عن واقعي ... وتســـتزيد نـــحوها مـــطامعي
ربّـــــاه يـــا ربّـــاه إنّـــنا بشـــر ... عن وعي واقع الأمـور نـقتصر
تـــجذبنا الظـواهـر المـزبرجـة ... عـــن واقـــع نـــيرانـه مـؤجّجة
وحـــــينما أيـــــقظنا الإيـــمان ... جـــئنا وكـــلّ مـــا بـــنا لسـان:
«لبّيك لبّـيك فـلا شـريك لك ... لبّـــيك لبّـيك فـلا مـليكَ لك»
أحرمت عـن مـا ثـمن تـجرّدا ... وصرت عبدا مـذ رأيت السـيّد
وهكـــــذا تـــــجرّد الإنســـان ... لما طمىٰ في وعـيه الإيـمان..

الهوامش:

(١) نداء الحق. ديوان شعر لأحمد محمّد الصديق: ١٥٢، ١٥٦.